الباب الثاني
أهم ما يواجه الناس من مشاكل
١ـ الابتـــــــلاء

(انظر أيضًا الصبر)

إذا ابتليت بفقد عزيز ، أو في مالك ، أو في صحتك ، أو بظلم وقع عليك ، وضاقت السبل أمامك ، فاصبر واعلم أن هذا بلاء واختبار من الله لامتحانك ومعرفة مدى إيمانك ، واذكر وتدبر قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

[البقرة:١٥٥ـ١٥٧] .

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٦] .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد:٣١] .

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢، ٣] (١) .

واعلم انه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك وأذن به :

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[التغابن:١١] .

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:٥١] .

---

(١) يفتنون : يختبرون ليعلم الصادقين من الكاذبين .

واعلم أن رُبَّ شر تكرهه يقدر الله فيه خيرًا كثيرًا :

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] .

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٣] .

وكن على يقين بأن الله سبحانه وتعالى سيتبع العسر يسرًا :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤] (١) .

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧] .

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥] .

واعلم أن ابتلاء الله لك يكون في الخير ، كما يكون في الشر :

فإذا آتاك الله مالًا ، فأد حق الله والفقير فيه ، وإذا ابتلاك الله بالجاه والمنصب ، فد حق الله فيهما بالقول والإصلاح ، وأحسن كما أحسن الله إليك :

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] (٢) .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«**أشد الناس بلاءً : الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل**» (٣) .

ويبشر النبي عليه الصلاة والسلام الصابر على البلاء بأن الله تعالى يحبه وجزيه أحسن الجزاء ، ويكفر عنه خطاياه .

---

(١) **البأساء** : الفقر ، الضراء : المرض ، **زلزلوا** : اضطربوا وطال اضطرابهم واستبطأوا النصر حتى تساءل الرسول متى نصر الله .

(٢) **ترجعون** : ترجعون إلى الله فيحاسبكم على ما ابتلاكم به من خير وشر ، واقرأ أيضًا : الكهف (٧، ٨) ، الصافات (١٠٣ - ١٠٩) ، محمد (٣١) ، الملك (١ ، ٢) ، الإنسان (١ـ ٣) ، الفجر (١٥ - ٢٠) .

(٣) ابن ماجه والترمذي عن سعد .

«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم ، حتى الشوكة يُشاكها ، إلا كفَّر الله بها خطاياه» (١) .

«من يرد به خيرًا يصب منه» (٢) .

«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سَخِطَ فله السَّخَطُ» (٣) .

«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (٤) .

«ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» (٥) .

وإذا ابتليت فادع بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام حيث كان يقول : «اللهم إني أسألك من اليقين ما تهون عليَّ به مصيبات الدنيا» (٦) .

والمؤمن إذا ابتلي صبر وحمد ، ويشبهه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : «مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفتها ، فإذا سكنت اعتدلت ، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ، ومثل الفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء» (٧) .

كنت خلف النبي عليه الصلاة والسلام فقال : «يا غلام ، إنني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة إذا اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف» (٨) .

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد .
(٢) البخاري وأحمد عن أبي هريرة .
(٣) الترمذي وابن ماجه عن أنس .
(٤) أحمد ومسلم عن صهيب .
(٥) الترمذي عن أبي هريرة .
(٦) الحاكم عن ابن عمر .
(٧) البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، خامة الزرع : أول ما ينبت على ساق الزرع ، كفتها : أمالتها ، الأرزة : شجرة الصنوبر .
(٨) الترمذي عن ابن عباس .

٢ـ الإســـراف

إذا حدثتك نفسك بالإسراف والتبذير ، فاذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة:٨٧] (١) .

والمسرف لا يحبه الله :

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام:١٤١] .

﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١] .

وجعل الله المسرفين في مصاف الشياطين والمغضوب عليهم :

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء:٢٧] .

﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه:٨١] (٢) .

ويأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتوسط في الأمر ، فلا إسراف ولا تقتير :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

[الإسراء:٢٩] .

ويبشر الله المعتدلين في الإنفاق بأنهم من عباده :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:٦٣ـ٦٧] .

وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا : فيرضى لكم أن تعبدوه لا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، وان تناصحوا ولاة أموركم ، ويكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» (٣) .

---

(١) لا تعتدوا : لا تسرفوا .

(٢) تطغوا : تتجاوزوا الحد فيه .

(٣) أحمد ومسلم عن أبي هريرة .

«كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة» (١) .

ويذكر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن القصد في الغنى والفقر هو من المنجيات :

«ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الرضا والغضب» (٢) .

٣ـ البخـــل

إذا حدثتك نفسك بالبخل أو الشُّح عن الإنفاق لله وفي سبيل الله فاذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤] (٣) .

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم:٣١] .

واعلم أن النفس البشرية قد جُبلت على الشُّح ، لذا يحذرنا الله منه ، فيقول سبحانه :

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:١٢٨] (٤) .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ [الليل:٥ـ ١١] (٥) .

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩] .

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد:٢٣، ٢٤] .

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ۝٣٧ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ

(١) أحمد والنسائي وابن ماجه عن ابن عمرو ، مخيلة : الخيلاء والتكبر .

(٢) الطبراني عن أنس .

(٣) خلة : صداقة .

(٤) أحضرت الأنفس الشح : جبلت على البخل .

(٥) اليسرى : اليسر ، العسرى : العسر .

لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد:٣٦ـ٣٨](١) .

واعلم أنك لن تنال البر حتى تنفق مما تحب في سبيل الله :

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾

[آل عمران:٩٢] .

وينذر الله تعالى الذين يبخلون بالإنفاق في سبيله بالويل والثبور :

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[آل عمران:١٨٠] .

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة:٣٤، ٣٥] .

ويبارك الله للمنفقين في سبيله :

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٢٦١، ٢٦٢](٢) .

ويكرم الله تعالى المنفقين في سبيله بأنهم مقرضون له سبحانه وتعالى ويبشرهم بالخير الجزيل :

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٥] .

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾

[التغابن:١٧] .

﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ ﴾

[المزمل:٢٠] .

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ:٣٩] .

---

(١) يحفكم : يبالغ في طلبها ، أضغانكم : أحقادكم .

(٢) المن : اعتداد المحسن بإحسانه على المحسن إليه .

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

واذكر وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يذكرنا بأن الشُّح من المهلكات :

«اتقوا الشُّح ، فإنه أهلك من قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (١) .

«شر ما في الرجل : شُح هالع ، وجبن خالع» (٢) .

«ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه» (٣) .

واستمع إليه عليه الصلاة والسلام حيث يقول : **«إنه لا يصلح لديننا إلا السخاء ، ولا يجتمع شح وإيمان في جوف واحد : إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ، فلا يصلح لدينكم إلا السخاء ، وحسن الخلق ، فزينوا دينكم بهما»** (٤) .

«لا يجتمع شح وإيمان في قلب عبد أبدًا» (٥) .

«السخي قريب من الله قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد عن النار ، والبخيل ، بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، ولجاهل سخي خير من عابد بخيل» (٦) .

«خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق» (٧) .

---

(١) الطبراني عن ابن عمر .

(٢) أبو داود عن أبي هريرة ، هالع : محزن ، خالع : مخيف .

(٣) مسلم عن جابر .

(٤) الطبراني عن ابن عمر ، واقرأ أيضًا عن البخل : البقرة (٢١٥، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٨) ، وآل عمران (٩٢) ، والتوبة (٧٩، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١١١) ، والإسراء (٢٦، ٢٩) ، والروم (٣٨) ، وفاطر (١٠، ٢٩) ، والحديد (٧، ١١، ١٨) ، والتغابن (١٦، ١٧) ، والبلد (١١ - ١٦) ، المزمل (٢٠) ، والليل (٥ إلى ٧، ٢١، ٢٦، ٢٩) ، والضحى (١٠، ١١) ، الصف (١٠، ١٣) .

(٥) النسائي والحاكم عن أبي هريرة .

(٦) الترمذي عن أبي هريرة .

(٧) الترمذي .

٤ ـ التقوى

إذا حدثتك نفسك باتباع الهوى وارتكاب أمر يغضب الله تعالى ، فاتق الله واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦] (١) .

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠] .

وإذا اتقيت الله فلا يَمَسَّك سوء ولا حزن :

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠، ٤١] .

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر:٦١] (٢) .

والله تعالى يأمرنا بالتقوى ، ويحذرنا من هول يوم الحساب :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣] .

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:١٢٣] .

وإذا اتقيت الله وذكرته ، فتح الله بصيرتك ، وصرف عنك كيد الشيطان ، وغوايته :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١] .

وتذكر قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «**الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني**» (٣) .

---

(١) هذا الخطاب لسيدنا داود عليه السلام .

(٢) **بمفازتهم** : بفوزهم .

(٣) الطبراني عن ابن عمر .

ويضع الرسول عليه الصلاة والسلام جهاد الهوى في منزلة الجهاد الأكبر :

«الجهاد الأكبر جهاد الهوى» [١] .

«حبك للشيء يعمي ويصم» [٢] .

«اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» [٣] .

وائتمر بقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام :

«اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها» [٤] .

سئل عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : **«تقوى الله وحسن الخلق»** [٥] .

«اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك» [٦] .

---

(١) أحمد والترمذي وابن ماجه عن شداد بن أوس .

(٢) البيهقي عن جابر بسند ضعيف .

(٣) أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء .

(٤) أحمد والترمذي عن أبي ذر .

(٥) الترمذي وبن حبان عن أبي هريرة .

(٦) الطبراني عن علي بن أبي طالب ، واقرأ أيضًا عن التقوى : البقرة (٤٨) ، آل عمران (١٠٢) ، النساء (١) ، المائدة (٣٥) ، الأنعام (٧٢) ، الأعراف (١٢٨، ١٩٩) ، الأنفال (٢٩) ، التوبة (١١٩) ، الحجر (٤٥) ، النحل (١٢٨) ، طه (١٣٢) ، الفرقان (٧٤) ، الأحزاب (٧٠، ٧١) ، (ص٤٩، ٥٤) ، الزمر (٦١) ، الحجرات (١٣) ، القمر (٥٤، ٥٥) ، الحديد (٢٨) ، الحشر (١٨، ٢٠) ، التغابن (١٦) ، التحريم (٦، ٧) ، الزمر (١٦) .

٥ ـ التجسس

لمـــز ، سخريـــة ، سوء ظـــن

إذا أُغريت بالتجسس على أخيك أو غيبته أو لمزه أو السخرية به وسوء الظن فيه ، فاذكر وتدبر واعمل بقول الله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات:١١، ١٢] (١) .

واذكر وتدبر وسر على الأدب الذي يؤدبنا به النبي عليه الصلاة والسلام ، حيث يقول :

«إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا» (٢) .

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا مشيرًا إلى صدره الشريف بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» .

«كُلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله» (٣) .

«إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٤) .

«إنك إن اتبعت عورات المسلمين ، أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» (٥) .

«إياكم والفحش ، فإن الله تعالى لا يحب الفحش والتفحش» (٦) .

---

(١) تلمزوا : تعيبوا ، لا تنابزوا بالألقاب : لا يدعو بعضكم بعضًا بألقاب السوء .

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ، التجسس : البحث عن العورات ، تدابروا : تعادوا .

(٣) مسلم عن أبي هريرة .

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٥) أبو داود عن معاوية .

(٦) ابن حبان عن أبي هريرة .

«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» (١) .

«إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء ، وإن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم أخلاقًا» (٢) .

قال أعرابي لرسول الله ﷺ : أوصني .

قال : «عليك بتقوى الله ، وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك ، فلا تعيره بشيء تعلمه فيه ، يكن وباله عليك وأجره لك ولا تسبن شيئًا» (٣) .

صعد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام المنبر ونادى بصوت مرتفع :

«يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من يتبع عورة أخيه المسلم ، يتبع الله عورته» (٤) .

٦ـ التوبـــة

إذا ثقلت ذنوبك وكثرت سيئاتك ، فتب إلى الله تعالى واستغفره ، متذكرًا متدبرًا عاقلًا قوله سبحانه وتعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨] .

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢] (٥) .

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١] .

---

(١) الترمذي عن ابن مسعود .

(٢) أحمد عن جابر .

(٣) أحمد والطبراني عن أبي جرئ .

(٤) الترمذي عن ابن عمر .

(٥) خطاب سيدنا هود لقومه ، مدرارًا : مطرًا غزيرًا .

واعلم أنك إذا استغفرت الله تعالى من ذنوبك ، وحسنت توبتك ، غفر الله تعالى لك ، وقبل توبتك ، فهو الرحيم الغفور :

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر:١ـ٣] .

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٤] .

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣ـ٥٥] .

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤] .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

[الشورى:٢٥] .

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

[النساء:١١٠] .

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧] .

وإيك أن تؤخر التوبة ، فبادر بها قبل فوات الوقت :

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٧، ١٨] (١) .

---

(١) من قريب : بلا تأخير واقرأ أيضًا عن التوبة : التوبة (٣٧) ، هود (٣) ، النحل (١١٩) ، القصص (٦٧) .

واذكر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة» (١) .

«لله أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم : يسقط على بعيره ، وقد أضله في أرض فلاة» (٢) .

«إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها» (٣) .

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (٤) .

ويقول معاذ بن جبل عندما أوفده النبي عليه الصلاة والسلام إلى اليمن :

أخذ بيدي رسول الله ﷺ ، فمشى قليلًا ثم قال :

«أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء العهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحم اليتيم ، وحفظ الجوار ، وكظم الغيظ ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، ولزوم الإمام ، والتفقه في القرآن ، وحب الأخوة ، والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل ، وإياك أن تشتُم مسلمًا ، أو تصدق كاذبًا ، أو تكذب صادقًا ، أو تعصي إمامًا عادلًا ، وأن تفسد في الأرض يا معاذ .

يا معاذ :

اذكر الله عند كل شجر وصخر ، وأحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية» (٥) .

---

(١) مسلم عن الأغر بن يسار .

(٢) البخاري ومسلم عن أنس ، يسقط : يعثر عليه .

(٣) مسلم والنسائي عن أبي موسى الأشعري .

(٤) ابن ماجه والطبراني عن ابن مسعود .

(٥) البيهقي في كتاب الزهد عن معاذ بن جبل ، لزوم الإمام : صحبة أهل العلم والإيمان أو طاعة إمام المسلمين .

٧ـ التوكل على الله

إذا حَزَب الأمر، وتشعبت المسالك، وضاقت عليك الدنيا، فتوكل على الله واعتصم به، ذاكرًا متدبرًا، عاملًا بقوله تعالى:

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء:١٢٥].

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٩].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق:٣].

﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت:٥٨، ٥٩].

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

ويأمر الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام بالتوكل على الله فيقول:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل:٧٩].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:٣].

واعلم أن الله يعدك باليسر بعد العسر إذا عملت وتوكلت عليه:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥].

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧].

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصًا وتروح بطانًا» (١) .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا خرج من بيته قال :

«باسم الله توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إني أعوذ بك أن أضِلّ أو أُضل ، أو أَزِل أو أُزل ، أو أَظْلِم ، أو أُظلَمْ ، أو أَجْهَل أو يُجهل عليَّ» (٢) .

سأل رجل رسول الله ﷺ أترك ناقتي بلا عقال ، وأتوكل على الله ؟ فقال : **«اعقلها ، وتوكل»** (٣) ، أي : اعمل واحتط ثم توكل .

٨ ـ الدعوة للحق

إذا كنت تجاهد في سبيل الحق ولم يصدقك الناس وتكاثرت عليك الأعداء ، فلا تخف ولا تيأس وإن طال انتظارك ، فالنصر حليفك ، واذكر ، وتدبر قوله تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨] .

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء:٩٤] .

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١١١، ١١٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧] .

واعلم بأن الحق ثابت لا يزول والباطل لا محالة زائل :

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى:٢٤] .

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾ [الأنبياء:١٨] .

---

(١) أحمد والترمذي وابن ماجه عن عمر ، خماصًا : جياعًا ، بطانًا : شبعى .

(٢) الطبراني عن بريدة .

(٣) الترمذي عن أنس ، أي اعمل واحتط ثم توكل ، واقرأ أيضًا عن التوكل : آل عمران (١٥٩) ، النساء (١٢٥) ، المائدة (٢٣٥) ، الأنفال (٤٩، ٦١) ، التوبة (١٢٩) ، هود (٥٦) ، الشعراء (٢١٧، ٢٢٠) ، الأحزاب (٣) ، الزمر (٣٨) .

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١] .

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس:٣٥] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:١٣٥] .

ولك أسوة حسنة برسول الله عليه الصلاة والسلام الذي دعا أول الأمر ، فلم يصدقه الناس ، وتكاثرت عليه الأعداء ، فقال له الله تعالى مواسيًا ومعزيًا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [المائدة:٤١] .

﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ ﴾ [آل عمران:١٤٤] .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٩] .

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء:٢١٤ـ ٢٢٠] .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦]

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر:٨] (١) .

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام:٣٣ـ ٣٥]

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾ [الشورى:٤٨] .

---

(١) أفمن زُين له سوء عمله حسنًا : الخبر محذوف تقديره كمن هداه الله،
لا تذهب نفسك عليهم حسرات : لا تهلكها حسرة عليهم .

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الروم:٥٢، ٥٣].

ولك أسوة حسنة بسيدنا نوح عليه السلام لما دعا قومه للإيمان فلم يصدقوه فقال لهم : ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود:٣٤].

وإياك أن يثنيك الاضطهاد عن الدعوة للحق والخير فمن دعا لهما كان من المفلحين : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

واذكر وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«فمن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس» (١) .

ولما تأذى عليه الصلاة والسلام بالناس ، في سبيل الدعوة قال :

«رحم الله أخي موسى ، فقد أوذي أكثر من هذا فصبر» (٢) .

ويبشر الرسول ﷺ من يدعو إلى الهدى بأجر عظيم حيث قال :

«من دعا إلى هدى كان له الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» (٣) .

ويهيب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بالمسلم أن يدعو للحق ، حتى لو كره الناس ذلك ، وخشي تألبهم عليه ، فيقول :

«لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه» (٤) .

«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه ، وهو أضعف الإيمان» (٥) .

«أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر» (٦) .

---

(١) الترمذي عن عائشة .
(٢) البخاري ومسلم عن ابن مسعود .
(٣) مسلم وأحمد عن أبي هريرة .
(٤) أحمد والطبراني عن أبي سعيد .
(٥) أحمد ومسلم عن أبي سعيد .
(٦) ابن ماجه عن أبي سعيد .

٩ـ خمر وميسر

إذا حدثك الشيطان بشرب الخمر أو لعب الميسر ، فاذكر وتدبر قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩٠، ٩١] (١) .

واذكر وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن . ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» (٢) .

«لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومُبتاعها وبائعها وعاصرها ومُعتصرها وحاملها والمحمولة إليه» (٣) .

«اجتنبوا الخمر ، فإنها مفتاح كل شر» (٤) .

«الخمر جُماع الإثم» (٥) .

«اجتنبوا الخمر ، فإنها أم الخبائث» (٦) .

«اجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر في صدر رجل أبدًا ، ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه» (٧) .

قال طارق بن سويد الحضرمي لرسول الله عليه الصلاة والسلام :

«إن في أرضنا أعنابًا نعتصرها ، أفنشرب منها ؟ قال : **«لا»** ، فعاودته فقال : **«لا»** ، فقلت : ألا نستشفي بها للمريض ؟ فقال : **«إن ذاك ليس شفاء ، ولكنه داء»** (٨) .

(١) **الأنصاب** : أحجار كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها ، **الأزلام** : سهام ثلاثة تستعمل للعب الميسر أو القسمة أو التطير ، **رجس** : قذر .

(٢) البخري ومسلم عن أبي هريرة .

(٣) الحاكم والبيهقي عن ابن عباس .

(٤) رزين عن حذيفة .

(٥) ابن حبان عن عثمان بن عفان .

(٦) ابن حبان عن عثمان بن عفان .

(٧) ابن حبان عن طارق الحضرمي .

(٨) ابن حبان عن خباب بن الأرت .

وشرب الخمر هو أكبر الآثام ، إذ يحذرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : «إياك والخمر ، فإن خطيئتها تفرع الخطايا ، كما أن شجرتها تفرع الشجر» (١) .

«من قال لصاحبه : تعال أقامرك فليتصدق» (٢) .

«من لعب بنرد أو نرد شير «الطاولة» فقد عصى الله ورسوله» (٣) .

مر رسول الله ﷺ على قوم يلعبون بالنرد فقال : «قلوب لاهية ، وأيد عاطلة ، وألسنة لاغية» (٤) .

١٠ـ دعـــاء «شكـــوى»

إذا شكوت من أمر أصابك ، فلا تشكو إلا إلى الله ، وإذا دعوت فلا تدعو إلا الله ، فإنه سميع مجيب ، واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] .

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر:٦٥] .

﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦] .

ولك أسوة حسنة بدعاء الأنبياء والمرسلين :

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم:٤٠، ٤١] .

دعا سيدنا موسى ربه قائلًا :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [طه:٢٥ـ ٣٢] .

وقوله :

﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص:٢٤] .

---

(١) ابن ماجه عن خباب بن الأرت ، تفرع : تزيد عليها وتعلوها .

(٢) البخاري عن أبي هريرة .

(٣) مالك عن أبي موسى الأشعري .

(٤) البيهقي عن يحيى بن كثير .

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣، ٨٤] .

ودعا سيدنا يونس قائلًا ، كما حكىٰ القرآن الكريم :

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧، ٨٨] (١) .

ودعا سيدنا زكريا ربه قائلًا :

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩، ٩٠] .

واذكر وتدبر قول الرسول الكريم صلوات الله عليه : «**تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء**» (٢) .

«**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء**» (٣) .

«**ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة ، إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**» (٤) .

«**إن الله ﷻ يقول : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني**» (٥) .

«**الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات**» (٦) .

«**إن الله رحيم حيي كريم ، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ، ثم لا يضع فيهما خيرًا**» (٧) .

---

(١) مغاضبًا : غاضبًا عني قومه .

(٢) البخاري عن أبي هريرة ، درك : إدراك .

(٣) مسلم وأبو داود عن أبي هريرة .

(٤) الترمذي عن عبادة بن الصامت .

(٥) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٦) الحاكم عن أبي هريرة ، واقرأ أيضًا : دعاء شكوىٰ ، الأنعام (٤) ، المؤمنون (٢٦، ٢٩) ، القمر (١٠) . نوح (٢٨) .

(٧) الحاكم عن أنس .

«سلُوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يُسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج» (١) .

«من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب ، فليكثر الدعاء في الرخاء» (٢) .

وادع بما كان يدعو به النبي عليه الصلاة والسلام في صلاة الوتر :

«اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتَوَلَّني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني واصرف عني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنه لا يَذِلُّ من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت» (٣) .

وكان عليه الصلاة والسلام يدعو في صلاته :

«اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحُسن عبادتك ، وأسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك مما تعلم» (٤) .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا سأل الله حاجة يقول :

«لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سُبحان رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم : لا تَدْع لي ذنبًا إلا غفرته ، ولا همًّا إلا فرَّجته ، ولا حاجة هي لك رضًا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين» (٥) .

وكان إذا غضب عليه الصلاة والسلام أو حلَّ به ضيق ، يقول : «اللهم استر عَوْراتنا وآمن رَوْعاتنا» (٦) .

«اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت» (٧) .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول لمن أراد السفر : «في حفظ الله وكنفه ، زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ووجهك للخير حيثما توجهت» (٨) .

---

(١) الترمذي عن ابن مسعود .

(٢) الترمذي والحاكم عن أبي هريرة .

(٣) الترمذي والنسائي وأبو داود .

(٤) الترمذي والنسائي عن شداد .

(٥) الترمذي عن عبد الله بن أبي أوفى .

(٦) أبو داود والنسائي عن ابن عمر ضمن حديث طويل .

(٧) أحمد وأبو داود وابن حبان عن أبي بكرة .

(٨) الحافظ من طريق الطبراني .

وكان إذا عزم على السفر يقول :

«الله أكبر ثلاثًا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كُنَّا له مُقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا ، واطْوِ لنا بعده ، اللهم أنا الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل» (١) .

وإذا رجع من السفر أضاف :

«آيبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون» (٢) .

ومن جامع الدعاء قوله عليه الصلاة والسلام :

«اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارْضَ عنَّا» (٣) .

«اللهم إني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر» (٤) .

١١ـ الدنيـــا

إذا خفت فتنة الدنيا ، فاعلم أنها لعب ، ولهو وزينة ، وأنها زائلة ولا قرار لها ، وتدبر قوله تعالى :

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤] (٥) .

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ﴾ [الكهف:٤٥] .

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠] (٦) .

(١) مسلم عن ابن عمر .

(٢) مسلم عن ابن عمر .

(٣) الترمذي والحاكم عن عمر بن الخطاب .

(٤) البزار والطبراني عن عبد الله بن عمرو .

(٥) الحيوان: الحياة الحقة .

(٦) حطامًا : هشيماً متكسّرا .

وإياك أن تفتتن بمالك وأولادك ، فتلهيك أو تطغيك :

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال:٢٨] .

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى:٣٦] .

وينذر الله تعالى المفتتنين بالدنيا والمؤثرين لها ، فيقول :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات:٣٧ـ٣٩] .

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان:٢٧] (١) .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» (٢) .

«أصدقُ كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل» (٣) .

«لِيكْفِ الرجل منكم كزاد الراكب» (٤) .

«ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليَمِّ ، فلينظر بم يرجع» وأشار إلى سبابته (٥) .

مر رسول الله ﷺ بشاة ميتة ، فقال :

«والذي نفسي بيده ، للدنيا على الله أهون من هذه على أهلها» (٦) .

«من كانت الدنيا همَّه ، فرق الله شمله ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له» (٧) .

«من أصبح وهمه في الدنيا ، فليس من الله في شيء ، ومن لم يهتم بالمسلمين فليس

---

(١) هؤلاء : يشير إلى الكافرين واقرأ أيضًا عن الدنيا : البقرة (٢٠٠، ٢١٢) ، آل عمران (١٤، ١٤٥، ١٨٥) ، الشورى (٤٧) ، التوبة (٣٨) ، الإسراء (١٨، ٢١) ، الكهف (٤٥، ٤٦) ، غافر (٣٩) ، النجم (٢٩) ، الأعلى (١٦ إلى ١٩) .

(٢) البخاري عن ابن عمر .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٤) ابن ماجه وابن حبان عن سلمان الفارسي .

(٥) الحاكم عن المستورد بن شداد .

(٦) ابن ماجه والحاكم عن سهل بن سعد .

(٧) الترمذي عن أنس .

منهم ، ومن أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مُكره فليس منا» [١] .

«أربعة من الشقاء : جمود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، وحب الدنيا» [٢] .

«لو كان لابن آدم وادٍ من مال ، لابتغى إليه ثانيًا ، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب» [٣] .

ويبين لنا النبي عليه الصلاة والسلام معنى الزهد في الدنيا ، فيقول :

«الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال أو إضاعة المال ، ولكن الزهادة ألا تكون بما في يدك أوثق بما في يدي الله ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب مما بقيت الدنيا لك» [٤] .

«ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» [٥] .

«يتبع الميت ثلاثة : أهله ، وماله ، وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله» [٦] .

«يقول ابن آدم : مالي ، مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت» [٧] .

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين ليأتي بجزيتها ، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى وانصرف ، تعرضوا له ، فتبسم حين رآهم ثم قال : «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين» ، فقالوا : أجل يا رسول الله ، فقال : «أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على من كان من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم» [٨] .

---

(١) الطبراني عن أبي ذر .

(٢) البزار عن أنس ، جمود العين : بخلها بالدموع عند وجود ما يستدعي ذلك .

(٣) البخاري ومسلم عن أنس .

(٤) البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف .

(٥) الترمذي وابن ماجه عن أبي ذر .

(٦) ابن ماجه والطبراني عن سهل بن سعد .

(٧) البخاري ومسلم عن أنس .

(٨) البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف .

«حُب الدنيا رأس كل خطيئة» (١) .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : «مالي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها» (٢) .

وأخيرًا يُوجهنا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أن في القناعة الغنى كله :

«ليس الغنى من كثرة ، ولكن الغنى غنى النفس» (٣) .

«إذا نظر أحدكم إلى من فَضُل عليه في المال والخلق ، فلينظر إلى من هو أسفل منه» (٤) .

١٢ـ ذكـــر اللـــه

إذا غفلت عن ذكر الله ، فاذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٧، ٢٨] .

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا﴾

[الكهف:٢٤] .

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾

[الزمر:٢٣] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

[الأحزاب:٤١، ٤٢] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩] (٥) .

---

(١) البيهقي في الشعب عن الحسن البصري .

(٢) أحمد عن ابن مسعود .

(٣) البخاري عن أبي هريرة .

(٤) الشيخان عن أبي هريرة .

(٥) واقرأ أيضًا عن ذكر الله : الزخرف (٣٦ - ٣٨) ، الحديد (١٦) ، الإنسان (٢٥) .

وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«يقول الله تعالى في حديث قدسي : أنا عن ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملأ خير منه» (١) .

«سَبق المُفردون المستهترين في ذكر الله ، يضع الذِّكرُ عنهم أثقالهم ، فيأتون يوم القيامة خفافًا» (٢) .

«أربع من أعطيهن فقد أعطي خَيْرَيِ الدنيا والآخرة :

لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه حَوْبًا في نفسها ولا ماله» (٣) .

«ما عمل ابن آدم عملًا أنجى له من العذاب من ذكر الله» (٤) .

«يقول الله ﷻ في حديث قدسي : أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه» (٥) .

«سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله :

إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ ، ورجل قلبه مُعلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» (٦) .

«إن لكل شيء صِقالة ، وصِقالة القلوب ذكر الله» (٧) .

روي عن معاذ أنه سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان ، فقال :

«أن تحب لله وتبغض لله ، ويتحرك لسانك بذكر الله» .

قل : وماذا يا رسول الله ؟

قل : «وأن تُحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك» (٨) .

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

(٢) مسلم عن أبي هريرة ، المفردون : المعتزلون عن الناس ، المستهترون : الذين يتظاهرون بالذكر أمام الناس .

(٣) الطبراني والبيهقي عن ابن عباس ، حوبًا : خيانة أو عيبًا .

(٤) أحمد عن معاذ .

(٥) ابن ماجه عن أبي هريرة .

(٦) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٧) ابن أبي الدنيا والبيهقي عن عبد الله بن عمرو ، الصقالة : ما يزيل الصدأ .

(٨) رواه أحمد .

١٣ـ رحمة اللـــه

إذا ضاقت بك السبل فلا تقنط ، واعلم أن رحمة الله قريبة ، واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢] .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] .

﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧] (١) .

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٦٣، ٦٤] .

ولتستحق رحمة الله ، كن عبدًا مؤمنًا محسنًا تائبًا إليه ، وتأمل كيف يُحَيِّي الله عباده المؤمنين التائبين ، ويبشرهم بأنه كتب لهم على نفسه الرحمة :

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:٥٤] .

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦] (٢) .

واذكر وتدبر قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام :

«يقول الله تعالى : سبقت رحمتي غضبي» (٣) .

دخل النبي عليه الصلاة والسلام على رجل وهو في النَّزع ، فقال : «كيف تجدك؟» .

قال الرجل : أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي .

---

(١) روح الله : رحمة الله .

(٢) اقرأ أيضًا : النساء (٨٣) ، الحجر (٥٦) ، التوبة (٢٣) ، الأحزاب (٤٣، ٤٤) ، غافر (٧ـ ٩) ، البلد (١١ - ١٨) .

(٣) مسلم عن أبي هريرة .

قال : «**ما اجتمع لأحد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجاه ، وأمنه مما يخاف**» [١] .

قدم على النبي ﷺ سَبْي ، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي ، إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا النبي ﷺ : «**أترون هذه طارحة ولدها في النار ، وهي تقدر على أن لا تطرحه؟**» ، قلنا : لا .

فقال : «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**» [٢] .

ورحمة الله تعالى وسعت كل مخلوقاته : المؤمن والكافر ، والقريب من الله المستحق لرحمته هو الرحيم بعباده .

«**لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد**» [٣] .

«**الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**» [٤] .

«**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**» [٥] .

أقبل رجل على النبي عليه الصلاة والسلام ، عليه كساء ، وفي يده شيء قد التف عليه ، فقال : يا رسول الله ، إني لما رأيتك أقبلت ، فمررت ببعض شجر ، فسمعت فيها أصوات فراخ طائر ، فأخذتهن فوضعتهن في كسائي ، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي ، فكشف لها عنهن ، فوقعت عليهن ، فلففتهن بكسائي فهن أولاء معي .

قال : «**ضعهن عنك**» ، فوضعتهن وأبت أمهن إلا لزومهن .

فقال رسول الله لأصحابه : «**أتعجبون لرحمة الأفراخ فراخها؟**» .

قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : «**فوالذي بعثني بالحق ، الله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها ، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن**» ، فرجع بهن [٦] .

---

(١) الترمذي وابن ماجه .

(٢) البخاري عن عمر بن الخطاب .

(٣) الترمذي عن أبي هريرة .

(٤) البزار عن أنس .

(٥) البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله .

(٦) أبو داود عن عامر الرام .

١٤ـ الـــرزق

إذا ضاق رزقك ، فارض بما قسم الله لك ، واعلم أن الرزق بيد الله وهو الرزاق ذو القوة المتين ، واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [الرعد:٢٦] .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت:٦٠] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣] .

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى:١٩] .

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق:٢، ٣] .

وإياك أن تمد عينيك إلى من هم أوسع منك رزقًا :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٣٢] .

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:١٣١] .

واعلم أن الله قسم الرزق بين عباده بواسع علمه وحكمته :

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف:٣٢] (١) .

---

(١) سخريًا : يُسخر بعضهم بعضًا في شئون الحياة ، واقرأ أيضًا عن الرزق : سبأ (٢٤) ، الشورى (١٩) ، الذاريات (٥٧، ٥٨) ، النجم (٤٨) ، الملك (٢١) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» (١) .

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصًا وتروح بطانًا» (٢) .

مر عليه الصلاة والسلام على ابن مسعود ، وهو حزين ، فقال له :

«لا تكثر همَّك ، ما قُدِّر يَكُن ، وما تُرزَق يأتِك» (٣) .

«أيها الناس : اتقوا الله وأجملوا في الطلب ، فإن نفسًا لن توت حتى تستوفي رزقها ، وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حلَّ ، ودعوا ما حرم» (٤) .

«قد أفلح من أسلم ، وكان رزقه كفافًا ، وقنعه الله به» (٥) .

«اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا» (٦) .

«من أصبح آمنًا في سربه ، مُعافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (٧) .

«ليس الغني من كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس» (٨) .

«إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدِّين إلا من يحب ، والذي نفسي بيده : لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه» (٩) .

واستمع لهذا الأدب السامي الذي يؤدبنا به الرسول عليه الصلاة والسلام : «لا تُرضين أحدًا بسخط الله ، ولا تحمدن أحدًا على فضل الله ، ولا تَذُمَّن أحدًا على ما لم

---

(١) أبو داود عن أبي هريرة .

(٢) أحمد والترمذي وابن ماجه عن عمر ، خماصًا : جياعًا ، بطانًا : شبعى .

(٣) البيهقي في القدر عن ابن مسعود .

(٤) ابن ماجه عن جابر .

(٥) الترمذي وأحمد عن عمرو بن العاص ، كفافًا : قليلاً .

(٦) أحمد والترمذي عن أبي هريرة .

(٧) الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن محصن ، سربه : طريقه ، حيزت : جمعت .

(٨) البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، العرض : المال .

(٩) أحمد عن عبد الله بن مسعود ، بوائقه : ظلمه وأذاه .

يُؤتك الله ، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حِرْص حريص ، ولا يَرُدّه عنك كُرْه كاره ، وإن الله بقسطه وعدله جعل الروْح والفرج في الرِّضا واليقين ، وجعل الهم والحَزَن في السخط» (١) .

١٥ـ الزنا «الفاحشة»

إذا أغراك الشيطان بارتكاب الفاحشة ، فاكبح جماح نفسك ، وجاهد هواك وشهوتك ، واذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣] (٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَٰحِشَةُ فِى الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ ۚ ﴾ [النور:١٩] .

ومن صفات المؤمنين أنهم لا يزنون :

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان:٦٨ـ ٧٠] .

ومن صفاتهم أنهم :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون:٥ـ ٧] (٣) .

---

(١) الطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود ، **الروح** : الرحمة .

(٢) **الفواحش** : الكبائر كالزنا ، **الإثم** : المعصية .

(٣) **لفروجهم حافظون** : حافظون لها عن الحرام رجالاً ونساءً ، **العادون** : المعتدون ، واقرأ أيضًا عن الزنا : النساء (١٥ ، ١٦) ، النور (٢ ، ٣) ، المعارج (١٩ – ٣٥) .

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام:

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[١].

«اضمنوا لي ستًا من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروحكم، وغُضوا أبصاركم، وكُفوا أيديكم»[٢].

«يا فتيان قريش، لا تزنوا، فإن من سلم له سبابه، دخل الجنة»[٣].

«من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان، كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»[٤].

«إياكم والفُحش، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش»[٥].

ويخرج الرسول عليه الصلاة والسلام الزاني من زمرة المسلمين فيقول: «ليس منَّا من خبب على امرئ زوجته»[٦].

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٢) أحمد وابن حبان والحاكم عن عبادة بن الصامت.

(٣) البيهقي عن ابن عباس.

(٤) الحاكم عن أبي هريرة.

(٥) ابن حبان عن أبي هريرة.

(٦) أحمد عن الحاكم وابن عباس عن بريدة، خبب «بتشديد الباء»: خدع وأفسد.

١٦ـ الـــزواج

إذا كنت متزوجًا فتأدب بآداب الإسلام في المعاملات الزوجية ، وتذكر وتدبر قول الله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:١٨٩] (١) .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل:٧٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] (٢) .

﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٧] (٣) .

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩] .

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ﴾ [النساء:٣٤] (٤) .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١] .

واعلم أن المؤمن محب لزوجه وولده ، وبتحلّيه بهذه الصفة يشرفه الله فيجعله من عباده الذين يدعون تعالى فيستجيب لهم :

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٧٤، ٧٥] .

---

(١) **ليسكن إليها** : ليعيش معها في أمن وسكينة .

(٢) **الأرحام** : ذوي الرحم ، أي اتقوا الله في ذوي قرابتكم .

(٣) **ولا تنسوا الفضل بينكم** : خطاب للزوجين ليتصفوا بالفضل في علاقتهما .

(٤) **قوامون** : راعون محافظون عليهم بما فضل الله الرجال من قوة الجسم وبما يلتزمون به من الإنفاق على زوجاتهم ، **قانتات** : مطيعات .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«أكملُ المؤمنين إيمانًا : أحسنهم خُلُقًا ، وخِيارُهم خيارهم لنسائهم» [١] .

«أكملُ المؤمنين إيمانًا : أحسنهم خُلُقًا ، وألطفهم بأهله» [٢] .

«لا تُؤدي المرأة حق ربها ، حتى تؤدي حق زوجها» [٣] .

«إن الله سائلٌ كل راع عما استرعاه : حَفِظ أم ضيَّع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» [٤] .

«لا يفرك مؤمن من مؤمنة ، إن كره منها خُلقًا رضي منها آخر» [٥] .

«الدُّنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» [٦] .

«أربع من أعطيهن فقد أعطي خَيْري الدنيا والآخرة : قلبًا شاكرًا ، ولسانًا ذاكرًا ، وبدنًا على البلاء صابرًا ، وزوجة لا تبغي حوبًا في نفسها وماله» [٧] .

«تُنكح المرأة : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدِّين تَرِبَتْ يداك» [٨] .

واسلك نهج الرسول عليه الصلاة والسلام في أهله :

سُئلت السيدة عائشة ﵂ : ما كان يصنع النبي في أهله ؟

قلت : كان يكون في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة [٩] .

وتأمل وفاء الرسول عليه الصلاة والسلام لذكرى زوجته أم المؤمنين «خديجة» فقد حدثتنا «السيدة عائشة» ﵂ قالت :

ما غِرْت على أحد من نساء النبي عليه الصلاة والسلام كما غرت على خديجة ، وما لي أن أكون أدركتها ، وما ذلك إلا لكثرة ذكر رسول الله ﷺ لها ، وإن كان ليذبح الشاة

(١) الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة .

(٢) الترمذي والنسائي عن عائشة .

(٣) ابن ماجه وابن حبان عن ابن أبي أوفى .

(٤) ابن حبان عن الحسن .

(٥) مسلم عن أبي هريرة ، يفرك : بسكون الفاء : يكره ويبغض .

(٦) مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو .

(٧) الطبراني عن ابن عباس ، حوبًا : إثماً .

(٨) البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، تربت يداك : افتقرت إن لم تفعل ذلك .

(٩) البخاري عن عائشة ، في مهنة أهله : في خدمة أهله .

فيتتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن .

وربما قالت له : كان لم يكن في الدنيا امرأة غير خديجة !

فيقول : «**إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد**» (١) .

لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة ، أدخلتها بها على أبي العاص ، فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها رقة شديدة ، ثم قال : «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها الذي لها ؟**» ، فقالوا : نعم ، وكان ﷺ أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب إليه ، وبعث ﷺ زيد بن حارثة ورجلين من الأنصار فقال لهما : «**كونوا ببطن يأجج ، حتى تمرّ بكما زينب ، فتحباها حتى تأتيا بها**» (٢) .

ودخلت على الرسول ﷺ امرأة فهشّ لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : «**إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان**» (٣) .

١٧ـ الشكـــر

إذا آتاك الله نعمة فكن شاكرًا عليها ، وارْعَ النعمة يحفظها الله لك ، ويزدك من فضله ، وتدبر قوله تعالى :

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣] .

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣] .

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤] .

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزمر:٧] (٤) .

---

(١) الشيخان والترمذي عن عائشة .

(٢) أبو داود عن عائشة ، **بطن يأجج** : مكان بين مكة والمدينة .

(٣) الحاكم عن عائشة ، **هش** : تبسم قليلاً .

(٤) **لا تزر وازرة وزر أخرى** : لا يحمل شخص ذنب آخر .

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] .

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧] .

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧] .

وتدبر قصة سبأ التي كفرت بأنعُم الله :

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۚ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٥ـ١٧] (١) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (٢) .

«من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب» (٣) .

«من أعطي شيئًا فوجد فَلْيَجْز به ، ومن لم يجد فليثن به فإن أثنى به فقد شكر ، وإن كتمه فقد كفر» (٤) .

«ثلاث من كن فيه آواه الله في كَنَفه ونشر عليه رحمته ، وأدخله جنته : من إذا أُعطي شكر ، وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر» (٥) .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر دائم التوبة والشكر لربه ، فقد روي أنه صلى وقام الليل حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : **«أفلا أكون عبدًا شكورًا؟»** (٦) .

---

(١) خمط : مر ، الأثل : نبات لا ثمر له ، السدر : النبق واقرأ أيضًا عن الشكر : سبأ (١٣، ١٥) ، غافر (٦١) ، الملك (١٣) .

(٢) أحمد ومسلم عن صهيب .

(٣) مجمع الزوائد عن عقبة ، وقيل : النعمان بن بشير .

(٤) أبو داود والترمذي عن جابر .

(٥) الحاكم والبيهقي عن ابن عباس .

(٦) مسلم عن المغيرة بن شعبة .

١٨ـ الشهـــادة

إذا حدثتك نفسك ألا تقسط في الشهادة أو تكتمها فاذكر واعمل بقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:٨] .

واشهد بالحق ولو على نفسك وذويك :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥] (١) .

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ﴾

[الطلاق:٢] .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[البقرة:١٤٠] .

﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

[البقرة:٢٨٣] .

﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج:٣٠] (٢) .

وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ، قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : «**الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، ألا وشهادة الزور، وقول الزور**» ، وكان متكئًا فجلس ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت (٣) .

«**إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يوفُون**» (٤) .

---

(١) **بالقسط** : بالعدل ، **تلووا** : تشهدوا بغير الحق ، **تعرضوا** : تمتنعوا عن الشهادة .

(٢) واقرأ أيضًا عن الشهادة : الفرقان (٧٢) ، المعارج (ـ٣٢ -٣٥) ، البقرة (٢٨٢) .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي بكرة .

(٤) البخاري ومسلم عن عمران بن حصين .

«آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف» [١] .

ويعلمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن شهادة الزور تعادل الشرك وشاهد الزور تحرم عليه الجنة :

«عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله» ، ثلاث مرات .

ثم قرأ : ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [٢] .

«من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه ، حرَّم الله عليه الجنة وأوجب له النار» [٣] .

ووصف الرسول عليه الصلاة والسلام المؤمن بأنه يشهد الحق لله ، وفي الله :

«واخش الله في شهادتك ولا تَخْش الخلق ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر إذا شهد أمرًا فليتكلم بخير أو ليصمت» .

«المؤمنون شهداء الله في الأرض» [٤] .

«لا يمنعنَّ أحدَكم رهبة الناس أن يقول بحق رآه» [٥] .

«أوصاني ربي أن أقول الحق ، وإن كان مُرًّا» [٦] .

١٩ـ الشيطان

إذا وسوس الشيطان في نفسك فاحش الله ، واعلم أن الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر ، ويلهى عن ذكر الله ، ويُمنِّي بالوعود الباطلة ، ويقود إلى مواطن السوء والخسران ، اقرأ وتدبر الآيات الآتية :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢١] .

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) أبو داود عن خزيم بن فاتك .

(٣) مسلم والنسائي عن إياس بن ثعلبة .

(٤) البخاري ومسلم عن أنس .

(٥) أحمد والطبراني عن أبي سعيد .

(٦) الطبراني وابن حبان من حديث عن أبي ذر .

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة:١٩] (١) .

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء:١١٩، ١٢٠] .

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:٩٩، ١٠٠] .

واعلم أن الشيطان لك عدو مبين ، فاحذره :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة:١٦٨، ١٦٩] .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء:٥٣] (٢) .

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

[فاطر:٦] .

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾

[يس:٦٠ـ ٦٢] (٣) .

وإن وسوس الشيطان إليك فاستعذ بالله منه :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٠، ٢٠١] .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾

[المؤمنون:٩٧، ٩٨] .

---

(١) عليهم : إشارة لمنافقي المدينة .

(٢) لينزغ : يثير الشر .

(٣) جبلاً : خَلْقًا .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١-٦] (١) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

لما رأى النبي عليه الصلاة والسلام اثنين يستبان ، وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، قال : «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد**» (٢) .

«**يبعث الشيطان سراياه ، فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة**» (٣) .

«**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» (٤) .

«**ما من بني آدم من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخًا من نخسه إياه ، إلا مريم وابنها**» (٥) .

وتقول السيدة عائشة ﷺ : خرج رسول الله من عندي ليلًا فغِرْت ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : «**ما لك يا عائشة ؟ أغِرتِ ؟**» ، فقلت : ومالي لا يغار مثلي على مثلك ، قال : «**أفأخذك شيطانك ؟**» ، فقلت : أو معي شيطان ؟ قال : «**نعم**» ، فقلت : مع كل إنسان ؟ قال : «**نعم**» (٦) .

خطَّ الرسول عليه الصلاة والسلام خطًّا ، ثم قال : «**هذا سبيل الله**» ، وخطَّ خطوطًا عن يمينه وشماله ، ثم قال : «**هذه سبل متفرقة ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» (٧) .

---

(١) واقرأ أيضًا : البقرة (١٦٨، ١٦٩، ٢٦٨) ، آل عمران (١٧٥) ، النساء (١١٥ -١٢٠) ، الأعراف (١٧٥، ١٧٦) ، يوسف (٥) ، الإسراء (٥٣-٦٤، ٦٥) ، الفرقان (٢٩) ، النمل (٢٤) ، محمد (٢٥، ٢٦) .

(٢) البخاري عن سليمان بن صرد .

(٣) مسلم عن جابر .

(٤) البخاري ومسلم عن أنس .

(٥) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٦) أحمد ومسلم عن عائشة .

(٧) أحمد والبزار عن ابن مسعود .

ثم قرأ قوله تعالى :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

«إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم : يأخذ الشاة القاصِيَةَ والشاذة ، وإياكم والشِّعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد» (١) .

٢٠ـ الصـــبر

إذا ضقت ذرعًا بمن أنت فيه وعيل صبرك فاذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] (٢) .

واعلم أن الله تعالى يبلو خلقه في أموالهم وأنفسهم ليظهر مبلغ صبرهم وقبولهم لقضائه :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١] .

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] .

ويبشر الله تعالى الصابرين بمغفرة منه ورحمة وأجر كريم :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥ـ١٥٧] .

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود:٩ـ١١] .

---

(١) أحمد عن معاذ بن جبل .

(٢) رابطوا : أقيموا على الجهاد .

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦] .

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] .

ولك أسوة حسنة بالنبي عليه الصلاة والسلام ، إذ يأمره الله بالصبر ، فيقول :

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥] .

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج:٥ـ٧] (١) .

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠] .

واعتبر بقصة طالوت وقتاله لجالوت ، وكيف أنه استخلص من جيشه الصابرين المطيعين بامتحان قدرتهم على الطاعة والصبر في يوم شديد الحر ، ظمئ فيه الجند ظمأ شديدًا ، فمنعهم من الشرب من نهر مروا عليه إلا غرفة يد واحدة ، فأطاع الأمر ، وصبر على الظمأ قلة من جيشه ، فسار بهم إلى قتال جالوت ، فهالهم ما هم فيه من عدد وعُدة ، ولكن إيمانهم وطاعتهم وصبرهم مهد لهم النصر على عدوهم :

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٤٩ـ٢٥١] .

ولك أسوة حسنة بسيدنا أيوب عليه السلام :

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣، ٨٤] (٢) .

---

(١) إنهم يرونه بعيدًا : أي أن الكفار يرون عذابهم بعيدًا .

(٢) مثلهم معهم : أعطاه ضعف ما كان عنده من مال وعيال .

واعمل بنصيحة سيدنا لُقمان عليه السلام لابنه ، حيث يقول :

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان:١٧] (١) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (٢) .

سأل رجال من الأنصار النبي عليه الصلاة والسلام فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتىٰ نفد ما عنده ، فقال لهم حين أنفق كل شيء : **«ما يكون من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفّه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، ما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»** (٣) .

«الصبر نصف الإيمان» (٤) .

«ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها ، إلا آجره الله في مُصيبته ، وأخلف له خيرًا منها» (٥) .

كنت ردف رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال :

«احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا» (٦) .

---

(١) واقرأ أيضًا عن الصبر : البقرة (١٧٧) ، آل عمران (١٨٦) ، يونس (١١) ، هود (١١٥) ، الشورىٰ (٤٣) ، محمد (٣١) ، المزمل (١٠) ، الإنسان (٢٤) ، البلد (١٧) .

(٢) البيهقي عن أنس .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي سعيد .

(٤) البيهقي عن ابن مسعود .

(٥) مسلم عن أم سلمة .

(٦) أحمد عن ابن عباس .

٢١ـ الصمت

إذا خاض الناس في الجدل والنقاش واللغو، فأعرض عنهم، والزم الصمت: تكن من عباد الرحمن، الذين يصفهم الله تعالى بقوله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥].

ولئن فعلت لتكونن من المفلحين:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:١ـ٣].

اتعظ بحديث سيدنا موسى لما قال لسيدنا الخضر عليهما السلام:

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٦٦ـ٧٠].

على أن سيدنا موسى عليه السلام لم يستطع الصبر على الصمت، كلما أحدث الخضر عليه السلام أمرًا، كخرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، واعلم أن الإنسان بطبيعته كثير الجدل والخصام، فقاوم هذه الغرائز بفضيلة الصمت.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٧٧].

﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤].

واستمع لنصح النبي عليه الصلاة والسلام، حيث يخبرنا أن الصمت أيسر العبادة:

«ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن: الصمت وحُسن الخلق» (١).

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» (٢).

وينصحنا الرسول عليه الصلاة والسلام بسجن اللسان:

«والذي لا إله إلا هو: ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان» (٣).

---

(١) ابن أبي الدنيا عن صفوان بن سليم.

(٢) البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) الطبراني عن عبد الله بن مسعود.

«اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان» (١) .

«أكثر الناس ذنوبًا أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيه» (٢) .

«أكثر الناس خطايا ابن آدم في لسانه» (٣) .

«أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل» (٤) .

ويبشر الرسول عليه الصلاة والسلام من يمسك الفضل من قوله :

«طُوبى لمن تواضع من غير منقصة ، وذلَّ في نفسه من غير مسألة ، وأمسك الفضل من قوله» (٥) .

واعلم أن الصمت في موضعه مما يدخل الجنة .

سأل أعرابي النبي عليه الصلاة والسلام : دلني على عمل يدخل الجنة ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : «أطعم الجائع ، واسق الظمآن ، وأمر بالمعروف ، وانْهَ عن المنكر ، فإن لم تُطق ، فكف لسانك إلا من خير» (٦) .

وإذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدًا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه يلقى الحكمة .

٢٢ـ الظلم

إذا حدثتك نفسك بظلم الغير فاذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى:٤١ـ ٣٤] (٧) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠] .

واعلم أن حساب الظالم عسير عندما يقف بين يدي الله :

(١) الطبراني عن أبي سعيد .

(٢) أبو الشيخ في الثواب عن أبي هريرة .

(٣) الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود .

(٤) ابن أبي الدنيا والطبراني عن ابن مسعود .

(٥) الطبراني عن نصيح العنسي .

(٦) أحمد وابن حبان من حديث طويل عن البراء .

(٧) ما عليهم من سبيل : لا عقاب عليهم ولا مؤاخذة .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم:٤٢، ٤٣] (١) .

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ [الزمر:٤٧] .

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧] .

والمسلم المؤمن لا يحتمل الضيم والظلم ، بل هو مأمور بمقاومته ورده عنه ، ومن يفعل ذلك فقد وعده الله بالنصر :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج:٣٨، ٣٩] (٢) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«يقول الله تعالى : يا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرمًا ، فلا تظالموا» (٣) .

«إياكم والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» (٤) .

ويحذرنا النبي عليه الصلاة والسلام من دعوة المظلوم ، فقد أوصى معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له : **«اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»** (٥) .

واعلم أن عاقبة الظلم وخيمة ، إذ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«إن الله ليملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته» (٦) .

ثم قرأ قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود:١٠٢] .

---

(١) **تشخص الأبصار** : لا تغمض العيون هولاً وفزعًا ، **مهطعين مسرعي الخطا ، مقنعي رؤوسهم** : رافعي رؤوسهم إلى السماء من هول الحساب ، **لا يرتد إليهم طرفهم** : لا تغمض عيونهم ، **هواء** : خالية من الفهم لشدة الحيرة .

(٢) **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا** : إذن برد الظلم بالقتال ، **بأنهم** : لأنهم .

(٣) مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي ذر .

(٤) ابن حبان عن أبي هريرة .

(٥) البخري ومسلم عن ابن عباس .

(٦) البخري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري .

ويأمرنا الرسول أن نعين قومنا إذا وقع بهم ظلم ، فقد سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام : أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟

قال : «لا ، ولكن العصبية أن يُعين الرجل قومه على الظلم» (١) .

كما يأمرنا أن نمنع قومنا عن الظلم ، إذ يقول :

«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» .

قيل : كيف ننصره ظالمًا ؟

قال : **«تحجزه عن الظلم ، فإن ذلك نصره»** (٢) .

«ما من مسلم يخذل مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته» (٣) .

وجمع الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك كله في قوله :

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله» (٤) .

٢٣ـ العـــدل

إذا وُليت أمر الناس فإياك أن تحيد عن العدل في حكمك وصلتك بالمحكومين ، وإذا عاملت الغير في بيع أو شراء فكن أمينًا عادلًا في معاملاتك ، واذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] .

ويأمرنا الله بالعدل حتى لو كان الحكم بالعدل لصالح الغريب ضد القريب :

---

(١) ابن ماجه عن واثلة ابن الأسقع .

(٢) البخاري عن أنس .

(٣) أبو داود عن جابر .

(٤) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[الأنعام:١٥٢].

ويأمرنا الله تعالىٰ بالعدل حتىٰ لأعدائنا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٨، ٩] (١).

والعدل واجب علىٰ المؤمنين لمن لا يناصبونهم العداء من الكفار:

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم يأمرنا الله تعالىٰ بأن نوفي الكيل والميزان، وليس هذا الأمر قاصرًا علىٰ المعنىٰ المحدود بوفاء البائع، الكيل والوزن للمشتري، بل يجب أن يفهم أيضًا بمعناه الأعم بأن نوفي مت التزمنا به من عقود بصدق وأمانة وعدل، نوفي بعقدنا مع الله تعالىٰ بطاعته واتباع أوامره وبالكف عن نواهيه، نوفي بعقد الزواج فيؤدي الزوج والزوجة حق الآخر، والعامل وصاحب العمل يؤدي كل حق الآخر بصدق وأمانة، والصديق حق الصديق، والحكم حق المحكوم بالعدل والرعاية، والمحكوم حق الحاكم فيما أمر الله، علينا أن نزن حقوقنا وواجبتنا وعلاقاتنا مع الغير بميزان عادل دقيق:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧ـ٩] (٢).

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

[الإسراء:٣٥]

---

(١) **شنآن**: بُغض أو عداوة، واقرأ أيضًا: الأعراف (٧٢).

(٢) **وضع الميزان**: وضع ميزان العدالة السماوية أو ميزان أعمال الإنسان أو الميزان الحسابي الدقيق للأفلاك والأجرام السماوية، **لا تطغوا في الميزان**: لا تتجاوزوا الحد فيه.

وتأمل رسالة سيدنا شعيب عليه السلام لقومه ، ونصحه لهم بالعدل والقسط :

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٨٥] .

وينذر الله بالعذاب والويل والثبور من يأخذ أكثر من حقه ويبخس الغير حقه ، فالبائع الذي يأخذ ثمنًا أكثر مما يستحقه السلعة والزوج الذي لا يعطي زوجته مثل ما يأخذ منها من عطف ومحبة والصديق الذي لا يعطي صديقه من الإخاء والإخلاص مثل ما يأخذ منه والعامل الذي يأخذ من صاحب العمل أكثر مما يعطيه من خدمة وصاحب العمل الذي يطالب العامل بعمل يزيد عن أجره والحاكم الذي يطالب المحكوم بأكثر مما يعطيه من عطف ورعاية :

أولئك جميعًا مطففون ، وينذرهم الله بالويل والعذاب :

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:١-٦] (١) .

كان النبي عليه الصلاة والسلام بما آتاه الله من الحكمة والإلهام ، يخشى أن يحكم بغير العدل ، متأثرًا بفصاحة أحد المتخاصمين ، فقد سمع مرة بباب حجرته قومًا يتخاصمون ، فخرج إليهم ، وقال : «**إنما أنا بشر ، وإنه ليأتيني الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة من نار ، فليأخذها أو ليتركها**» (٢) .

والإمام العادل يظله الله بظله يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه ، ويبشره الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة :

«**أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان ، مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم متعفف ذو عيال**» (٣) .

---

(١) وانظر أيضًا عن العدل في العلاقات هود (٨٤، ٨٥) ، الشعراء (١٨١ - ١٨٣) .

(٢) الستة عن أم سلمـــة .

(٣) مسلم عن عياض بن حمار .

«سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله : اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» [١] .

«أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم مجلسًا : إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم عنه مجلسًا : إمام جائر» [٢] .

وتأمل في عدل رسول الله الذي يطلب من الناس أن يقتصُّوا منه إن وقع منه ظلم على واحد منهم ، فقد صعد على المنبر في مرض وفاته وقال :

«أيها الناس ، من كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهري فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضي فليستقد منه ، ومن كنت أخذت له مالًا فهذا مالي فليستقد منه ، لا يقولن أحد : إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله ، ألا إن الشحناء ليست من طبيعتي ولا من شأني ، ألا إن أحبَّكم إليَّ من أخذ حقًا كان له ، أو حللني ، فلقيت الله وأنا طيب النفس» ، فقام إليه رجل وقال : يا رسول الله ، إن لي عندك ثلاثة دراهم ! فقال رسول الله : «أما إنَّا لا نكذب أحدًا ، ولا نستحلفه ، فيم صار لك عندي؟» ، قال الرجل : تذكر يومًا مر بك مسكين ، فأمرتني أن أدفعها إليه ؟ فقال : «ادفعها إليه يا فضل» [٣] .

أما عن العدل في المعاملات ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«التاجر الصَّدُوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» [٤] .

ويخاطب النبي عليه الصلاة والسلام أصحاب الكيل والميزان محذرًا بقوله : «إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الأمم السابقة قبلكم» [٥] .

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) الترمذي عن أبي سعيد .

(٣) أبو يعلى والطبراني عن الفضل بن عباس ، فليستقد منه : ليأخذ حقه منه .

(٤) الترمذي والحاكم عن أبي سعيد .

(٥) الترمذي والحاكم عن ابن عباس .

٢٤ـ العفـــو

وانظر أيضًا «غضب» : إذا أساء الناس إليك ، فاعف واصفح وادفع بالتي هي أحسن ، ذاكرًا متدبرًا قول الله تعالى :

﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩] .

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤] .

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣] .

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

ويأمر الله تعالى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بالعفو :

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٩] (١) .

﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥] .

ولا يأمرنا الله تعالى بالعفو فقط عمن أساء إلينا ، بل بالإحسان إليه ، فربما قلب الإحسان العدو صديقًا .

﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥] (٢) .

ولك أسوة حسنة بسيدنا يوسف عليه السلام لما ألقاه إخوته في الجُب والتقطته قافلة مسافرة ، ثم ولي أمر مصر وحضر إخوته للمؤونة منها ، فعرفوه :

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٠] (٣) .

---

(١) عنهم : عن أهل الكتاب .

(٢) وما يلقاها : يوفق إليها .

(٣) لا تثريب : لا لوم .

وكان سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ قد أقسم ألا ينفق على قريب له ذي فاقة اسمه «مسطح» ، بعد أن اشترك في حديث الإفك ضد ابنته عائشة ﵂ زوجة الرسول ، فنزلت الآية الكريمة :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢] (١) .

فقال أبو بكر ﷺ عند سماع الآية : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، ثم أعاد على «مسطح» ما كان يصله به .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت لحالفًا عليهن : لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا ، ولا يعفو عبد عن مظلمة إلا زاده الله بها عزًا يوم القيامة ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر» (٢) .

قال موسى عليه السلام : **«يا رب ، أي عبادك عليك أعز؟»** .

قال : **«الذي إذا قدر عفا»** (٣) .

«ارحموا تُرحموا ، واغفروا يُغفر لكم» (٤) .

«ثلاث من كُن فيه آواه الله في كنفه ، وستر عليه رحمته ، وأدخله في جنته : من إذا أُعطي شكر وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر» (٥) .

---

(١) **لا يأتل** : لا يحلف واقرأ أيضًا عن العفو : البقرة (١٠٩، ٢٣٧) ، آل عمران (١٥٩) ، النساء (١٤٩) ، المائدة (٥٣١) ، الحج (٦٠) ، النور (٢٢) ، الشورى (٢٥) .

(٢) أحمد والبزار عن عبد الرحمن بن عوف .

(٣) الخرائطي في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة .

(٤) أحمد والبخاري عن عبد الله بن عمرو .

(٥) الحاكم والبيهقي عن ابن عباس ، فتر : هدأ .

٢٥ـ العمـــل

إذا تقاعست على العمل الصالح لله وفي سبيل الله ، فاذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥] .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣] .

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦] .

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١ـ٣] .

واعلم أن الله تعالى قد وعد العاملين في سبيله أن يجزيهم الجزاء الأوفى ، ويحييهم حياة طيبة :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧] .

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه:١١٢] .

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٤] .

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٣٢] .

﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ:٣٧] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٧، ٨] .

واذكر قصة ذي القرنين لما بلغ بين السدين «مكان يقال : إنه بالقرب من بخارى» استنصره أهل هذه المنطقة ليحميهم من القبائل المجاورة «يأجوج ومأجوج من قبائل

المغول» وقالوا له : سنجعل لك أجرًا ، فقال لهم : «لا» ، اعملوا معي وساعدوا أنفسكم ، أحضروا الحديد والنحاس لأجعل بينكم وبينهم ردمًا :

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف:٩٧-٩٧] (١) .

واذكر أيضًا قصة سيدنا موسى عليه السلام لما أمر قومه بدخول الأرض المقدسة فأبوا :

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٢، ٢٣] (٢) .

أي اعمروا وخذوا زمام المبادرة متوكلين على الله ، فإن فعلتم فأنتم منتصرون .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» .

«**اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك**» (٣) .

ويأمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بالعمل الدائم لكسب معاشنا حلالًا طيبًا ، فهذا ضرب من العمل الصالح :

«**إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ**» (٤) .

---

(١) **خرجًا** : جُعْلاً من المال ، ما مكني فيه ربي : أي ما أعطاني من مال وحكمة وقوة خير ، **زبر الحديد** : قطع من الحديد ، **الصدفين** : جانبي الجبلين ، **قطرًا** : النحاس المذاب .

(٢) **قومًا جبارين** : من بقايا قوم عاد واقرأ أيضًا عن العمل : الكهف (٤٦) ، الصافات (٦١) ، الصلاق (١١) ، التين (٦) .

(٣) البيهقي والحاكم عن ابن عباس .

(٤) البخاري ومسلم عن عائشة .

«طلب الحلال واجب على كل مسلم» (١) .

«طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» (٢) .

«والذي نفسي بيده : لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الجبل فيحتطب ، ثم يأتي به فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يسأل الناس ، ولأن يأخذ ترابًا فيجعله في فيه فمه خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه» (٣) .

وقد وضع الرسول عليه الصلاة والسلام العامل لكسب معاشه في صف المجاهدين في سبيل الله ، وبشره بحب الله له .

جاء رجل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام سائلًا : أي الكسب أفضل يا رسول الله ؟ قال : «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور» (٤) .

«ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» (٥) .

أتى رجل من الأنصار النبي عليه الصلاة والسلام سائلًا ، فقال له : «أما في بيتك شيء؟» ، قال : بلى ، حلس نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء ، قال : «ائتني بهما» .

فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال : «من يشتري هذين؟» ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله : «من يزيد على درهم؟» ، مرتين أو ثلاثًا ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين ، فأعطاهما للأنصاري ، وقال : «اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدومًا فأتني به» ، فأتاه به فشدّ فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ثم قال : «اذهب واحتطب وبع ، ولا أريّنك خمسة عشر يومًا» ، ففعل وقد أصاب عشرة دراهم اشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا ، فقال رسول الله ﷺ : «هذا خير من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة» (٦) .

---

(١) الديلمي في مسند الفردوس عن أنس .

(٢) الطبراني عن ابن مسعود .

(٣) أحمد عن أبي هريرة .

(٤) الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عمرو .

(٥) البخاري وأحمد عن المقدام .

(٦) البزار عن أنس ، الحلس : كساء غليظ يوضع على ظهر البعير ، فانبذه إلى أهلك : أعطه لأهلك .

ويعلمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن العمل يجب ألا يقتصر على انتفاعنا الشخصي به ، بل انتفاع الغير منه كالتعليم والإصلاح وحفر الآبار وشق القنوات ، فيقول عليه الصلاة والسلام :

«سبع تجري للعبد بعد موته ، وهو في قبره : من علم علمًا ، أو كرى نهرًا ، أو حفر بئرًا ، أو غرس نخلًا ، أو بنى مسجدًا ، أو ورث مصحفًا ، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته» (١) .

٢٦ـ العهد

إذا قطعت على نفسك عهدًا فأوف به ، ولا تنقضه ، واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل:٩١، ٩٢] (٢) .

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:٣٤] .

والوفاء بالعهد من صفات المسلم المؤمن الفالح :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[المؤمنون:١ـ ١١] .

---

(١) أبو داود عن أنس .

(٢) أنكاثًا : شبَّه ناكث العهد بالمرأة التي تنقض غزلها بعد أن أحكمته ، دخلاً : إفسادًا لأموركم ، أربى : أكثر عددًا وقوة ، أي لا تنقضوا عهودكم بسبب ضعف أو قلة عدد من تعاهدتم معهم .

واعلم أن ناكث العهد مكروه ممقوت :

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢، ٣] (١) .

واذكر وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان» (٢) .

«لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له» (٣) .

«لا تُمار أخاك ولا تمازحه ، ولا تعده موعدًا فتخلفه» (٤) .

«اضمنوا لي ستًا أضمن لكم الجنة :

اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا اؤتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغُضوا أبصاركم ، وكُفوا أيديكم» (٥) .

٢٧ـ الغضـــب

إذا استثرت فلا تغضب واصبر واصفح ، واعلم أن الصفح واجتناب الغضب من صفات المتقين المؤمنين ، واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٣، ١٣٤] .

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٦، ٣٧] .

---

(١) واقرأ أيضًا : آل عمران (٧٧) ، المائدة (١) ، الأنعام (١٥٢) ، الرعد (٣٥) ، المعارج (١٩ -٣٢) .

(٢) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٣) أحمد وابن حبان عن أنس .

(٤) الترمذي عن ابن عباس .

(٥) أحمد وابن حبان والحاكم عن عبادة بن الصامت .

واعلم أن الغضب من نزغ الشيطان فاستعذ بالله منه إذا ما ساورك الغضب :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٠، ٢٠١] (١) .

ويوصينا الله سبحانه وتعالىٰ بأن ندفع الغضب بالصبر ، وجهل الناس علينا بالحلم ، فتلك صفة سامية لا يتصف بها إلا من آتاهم الله حظًا وافرًا من الحكمة والتقوىٰ ، فيقول الله تعالىٰ :

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥] (٢) .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«الغضب من الشيطان ، والشيطان خلق من نار ن وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» (٣) .

«ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب» (٤) .

قال رجل : يا رسول الله ، أوصني ، قال : **«لا تغضب»** ، قال : فلكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله (٥) .

«ثلاث من كن فيه آواه الله في كنفه وستر عليه برحمته ، وأدخله في محبته :

من إذا أعطى شكر ، وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر (٦) .

إن بني آدم خيرهم بطيء الغضب سريع الفيء (٧) .

وبشر الرسول عليه الصلاة والسلام كاظم الغيظ بالأمن والإيمان فيقول :

«من كظم غيظًا وهو قادر على إنفاذه ملأه الله أمنًا وإيمانًا» (٨) .

---

(١) **ينزغنك من الشيطان نزغ** : يثير الشيطان فيك إغراء أو وسوسة .

(٢) **ادفع بالتي هي أحسن** : ادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن الخصال ، **ولي** : صديق ، **يلقاها** : يوفق إليها .

(٣) أبو داود .

(٤) البخري ومسلم عن أبي هريرة ، **الصرعة** : الذي يصرع الناس .

(٥) أحمد عن حميد بن عبد الرحمن .

(٦) الحاكم والبيهقي عن ابن عباس ، **آواه في كنفه** : أحاطه برعايته ، **فتر** : هدأ .

(٧) الترمذي عن أبي سعيد الخدري .

(٨) أبو داود عن رجل من أصحاب النبي ﷺ لم يذكر اسمه .

٢٨ـ القربى

«ذوو القربى ، ذوو الرحم ، الرحم»

إذا مُنيت بأذىٰ أو قطيعة من أهلك وذوي قرباك ورحمك ، فَصِلْهُم ولا تقطعهم ، واذكر وتدبر قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] .

ويقرن الله سبحانه وتعالىٰ الإحسان بالقربىٰ مع الإحسان بالوالدين فيقول جل جلاله :

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء:٣٦] .

ويأمرنا الله تعالىٰ بعد تقواه وخشيته أن نتقي الأرحام ونصلها ولا نقطعها ، فيقول تعالىٰ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] (١) .

ولما أمر الله تعالىٰ الرسول عليه الصلاة والسلام أن يبث الدعوة الإسلامية ، وجهه إلىٰ أن يبدأ بعشيرته الأقربين ، فبلغهم عليه الصلاة والسلام الرسالة واحدًا واحدًا ، ولما لقي الكثير من أذاهم توسل إليهم بمودة القربىٰ التي تربطه وإياهم ، فيخاطب الله تعالىٰ رسوله الكريم بقوله :

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورىٰ:٢٣] (٢) .

ويضع القرآن الكريم ذوي القربىٰ في المرتبة الأولىٰ من المستحقين للصدقات ويعتبر أن ما يعطىٰ لهم ليس تفضلًا بل حقًا فيقول الله تعالىٰ :

---

(١) الجار ذي القربى : الجار القريب جواره ، الجار الجنب : الجار الذي بعد جواره ، الصاحب بالجنب : الرفيق في علم أو عمل أو سفر وقيل : الزوجة .

(٢) عليه : علىٰ الإسلام والإيمان .

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم:٣٨] .

وإن لم تجد ما تقدمه إليهم ، فلتقل لهم قولًا كريمًا حتى يؤتيك الله تعالى وإياهم من فضله :

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٦ـ٢٨] (١) .

ويأمرنا القرآن الكريم أن نحسن إلى ذوي القربى حتى لو بدت منهم الإساءة ، فقد كان لسيدنا أبي بكر ﷺ قريب فقير اسمه مسطح كان يجري عليه رزقًا ، ولما شاع حديث الإفك الذي خاض فيه الناس عن السيدة عائشة بنت سيدنا أبي بكر وزوج الرسول عليه الصلاة والسلام كان مسطح من أكبر مُرَوِّجيه ، فبلغ ذلك سيدنا أبا بكر ، فآلى على نفسه أن يقطع ما يجريه من رزق عليه ، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة التي تحض على العفو والمغفرة ، والاستمرار في النفقة رغم إساءته :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢] (٢) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» (٣) .

ووضع النبي عليه الصلاة والسلام ذوي الرحم في أولويتهم بعد الأب والأم :

سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام : من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال : **«أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أبوك ، ثم أدناك أدناك»** (٤) .

وشكا رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقاتل : إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأُحْسِنُ إليهم ويسيئون إليَّ ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ .

---

(١) ميسورًا : لينًا .

(٢) لا يأتل : لا يحلف .

(٣) البخري ومسلم عن أبي هريرة .

(٤) مسلم عن أبي هريرة ، أدناك : ذو رحمك .

فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المَلّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» (١) .

ويحضنا الرسول عليه الصلاة والسلام على صلة من أساء إلينا من ذوي الرحم فيقول :

«**ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**» (٢) .

«**الرحم متعلقة بالعرش ، تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله**» (٣) .

«**من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه**» (٤) .

ويعلمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأقربين أولى بالمعروف والصداقة ، جاء أبو طلحة إلى الرسول ﷺ ، وكان أكثر الأنصار بالمدينة مالًا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، فلما نزلت الآية الكريمة : ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ ، قام طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ ، وإن أحب مالي إليَّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله .

فقال رسول الله ﷺ : «**بخ ، ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**» .

فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها طلحة في أقاربه وبني عمه (٥) .

وفي هذا المعنى تقول زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «**تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن**» ، قالت : فرجعت إلى زوجي فقلت له : إنك رجل خفيف ذات اليد ، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة ، فأته فاسأله ، فإن كان ذلك يجزي عني أعطيتها لك ولا أصرفها إلى غيركم ، فقال عبد الله : بل ائتيه أنت ، فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها وكان

---

(١) مسلم عن أبي هريرة ، **يجهلون عليَّ** : يسيئون إليَّ ، **المل** : الرماد الحار ، **ظهير** : عون .

(٢) البخاري عن عبد الله بن عمرو .

(٣) البخاري ومسلم عن عائشة .

(٤) البخاري ومسلم عن أنس ، **ينسأ له في أثره** : يؤخر له في أجله .

(٥) البخاري ومسلم عن أنس ، **مستقبلة المسجد** : أمام المسجد ، **بخ** : كلمة تُقال عند الرضا والإعجاب بالشيء ، والمقصود هنا : أحسنت وأصبت .

رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة ، فخرج علينا بلال ، فقلنا له : ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك : أتجزي الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن ، فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله فقال له رسول الله ﷺ : «من هما ؟» ، فقال : امرأة من الأنصار وزينب ، فقال رسول الله ﷺ : «**أي الزيانب هي ؟**» ، قال : امرأة عبد الله بن مسعود ، فقال رسول الله ﷺ : «**لهما أجران أجر القرابة أجر الصدقة**» (١) .

ويوصي عليه الصلاة والسلام بأهل مصر خيرًا ؛ لأن لهم مع العرب ذمة ورحمًا ، فيقول عليه الصلاة والسلام :

«**إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها خيرًا ، فإن لهم ذمة ورحمًا**» ، وفي رواية أخرى : «**ذمة وصهرًا**» (٢) ، وصهر الرحم تنقذ من النار .

سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ، فقال النبي : «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم**» (٣) .

ويبشر الرسول عليه الصلاة والسلام واصل الرحم بأنه من أهل الجنة : «**أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط ، متصدق ، موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال**» (٤) .

عن أبي ذر قال : أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير : أوصاني ألا أنظر إلى من هو فوق ، وأن أنظر إلى من هو دوني ، وأوصاني بحب المساكين والدنوّ منهم ، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت ، وأوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم ، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرًّا ، وأوصاني أن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة (٥) .

---

(١) البخاري ومسلم عن زينب الثقفية زوجة ابن مسعود ، **خفيف ذات اليد** : فقير .

(٢) مسلم عن أبي ذر ، الرحم المشار إليه في الحديث لأن سيدتنا هاجر أم إسماعيل من مصر والصهر لأن السيدة مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله عليه الصلاة والسلام من مصر .

(٣) مسلم عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري .

(٤) مسلم عن عياض بن حمار .

(٥) الطبراني وابن حبان .

٢٩ـ الكبر

إذا أحسست في نفسك الكبر والخيلاء ، فاعلم أن الله لا يحب المتكبر الفخور ، واقرأ وتدبر قول الله تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦] .

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣] .

والمتواضع من عباد الله :

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] .

واقرأ وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ، ونعله حسنًا ، قال : **«إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس»** (١) .

«ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتو جواظ متكبر» (٢) .

«لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا» (٣) .

«إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، وإن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» .

قالوا : يا رسول الله ، قد علمنا الثرثارين ، فما المتفيهقون ؟ قال : **«المتكبرون»** (٤) .

«كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرفٍ ولا مخيلة» (٥) .

«ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه» (٦) .

---

(١) مسلم والترمذي عن ابن مسعود ، بطر الحق : دفعه .

(٢) البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب ، الجواظ : المتكبر البخيل .

(٣) البخاري وأحمد عن أبي هريرة ، بطر : خيلاء .

(٤) الترمذي عن جابر بن عبد الله .

(٥) الطبراني والحاكم عن ابن عمر .

(٦) الترمذي وابن ماجه وأحمد عن ابن عمرو ، مخيلة : الخيلاء .

«طوبى لمن تواضع في غير منقصة ، وذل في نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالًا جمعه في غير معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله» (١) .

«من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان» (٢) .

٣٠ـ الموت

إذا خفت الموت ، فاذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران:١٤٥] .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:٧٨] .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام:٦٠ـ٦٢] .

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف:٢٤] .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩] .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت:٥٧] .

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[الأحزاب:١٦] .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧] .

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة:٨] .

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:١١] .

---

(١) مسلم والترمذي عن أبي هريرة .

(٢) الطبراني عن ركب المصري .

واعلم أن النفس المقربة من الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح ينتظرها بعد الموت الخير والسعادة الدائمة :

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢] .

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٨٨ـ ٩١] .

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧ـ ٣٠] .

واذكر قوله عليه الصلاة والسلام :

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» (١) .

«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» .

فقالت السيدة عائشة ﵂ : أكراهية الموت ، فكلنا يكره الموت !

فرد عليه الصلاة والسلام : **«ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوان جنته أحب لقاءه فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»** (٢) .

كان ابن لإحدى بنات النبي عليه الصلاة والسلام يحتضر ، فأرسلت إلى رسول الله أن يأتيها ، فأرسل لها : **«إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل إلى أجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب»** ، فأرسلت إليه ، فقام ﷺ فلما دخل ناولته الصبي المحتضر ، فبكى رسول الله ﷺ فقيل له : أتبكي يا رسول الله ؟

فقال : **«إنما يرحم الله من عباده الرحماء»** (٣) .

---

(١) البخاري ومسلم عن ابن عمر .

(٢) البخاري ومسلم عن عائشة ، واقرأ أيضًا عن الموت : آل عمران (٨٥) ، الأعراف (١٤) ، طه (٥٥) ، الأنبياء (٣٤) ، لقمان (٤٤) .

(٣) البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد .

لما سئل النبي عليه الصلاة والسلام : من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال : «**أكثرهم ذكرًا للموت وأكثرهم استعدادًا له**» (١) .

ويوصينا الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : «**لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان ولابد فاعلًا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**» (٢) .

«**إذا مات الميت تقول الملائكة : ما قدم ، وتقول الناس : ما خلف**» .

٣١ـ الهجـــرة

إذا أوذيت في دينك أو حُريتك أو مالك ولم تقدر على دفع الأذى وضاقت بك السبل ، فاهجر ، عاملًا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨] .

﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت:٥٦] (٣) .

ويقرع الله القاعدين عن الهجرة المستسلمين للأذى والهوان ورؤية المنكر ، وينذرهم بجنهم وسوء المصير :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٩٧ـ ١٠٠] .

و وعد الله المهاجر المجاهد في سبيله الفارّ من الظلم والجور بمغفرة ورحمة منه ورضوان وجنات تجري من تحتها الأنهار :

---

(١) الطبراني في الصغير عن ابن عمر .

(٢) البخاري ومسلم عن أنس .

(٣) هذه الآية نزلت في المسلمين من ضعفاء مكة لحضهم على الهجرة حيث تتوافر الحرية والكرامة . ظالمي أنفسهم : باحتمال الأذى والهوان ورؤيتهم المنكر والسوء دون القدرة على تغييره أو الهجرة ، مراغمًا : مخلصًا مهربًا أي أماكن كثيرة للهجرة .

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩٥] .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة:٢٠ـ٢٢] .

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤١] (١) .

واستمع لقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

سأل أبو سفيان الرسول عليه الصلاة والسلام : حدثني يا رسول الله بعمل أستقيم عليه وأعمله ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام : «**عليك بالهجرة فإنه لا مثيل لها**» (٢) .

سئل الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : أي الهجرة أفضل ؟

فقال : «**أن تهجر ما كره ربك ﷻ**» .

ثم قال : «**الهجرة هجرتان : هجرة الحاضر ، وهجرة البادي ، فأما البادي فيجيب إذا دُعي ، ويطيع إذا أمر ، وأما الحاضر فأعظمهما بلية وأعظمهما أجرًا**» (٣) .

«**يُوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن**» (٤) .

ولك أسوة برسول الله عليه الصلاة والسلام : لما اشتد اضطهاد كفار مكة للمسلمين ، نصحهم بالهجرة إلى الحبشة ، وهاجر منهم عدد غير قليل ، فارين بدينهم وحريتهم ، ولما اشتد اضطهاد الكفار له وقست قلوبهم وعميت بصائرهم عن هديه ورسالته ، هاجر هو نفسه إلى المدينة فارًا بدينه ، فكان في ذلك الفتح المبين والنصر المؤزر للإسلام والمسلمين .

«**جاهدوا وهاجروا تُفلحوا**» (٥) .

---

(١) اقرأ أيضًا عن الهجرة : التوبة (٤، ١٠٠) ، الحج (٥٨ -٥٩) ، الحشر (٨، ٩) .

(٢) النسائي عن أبي فاطمة .

(٣) النسائي عن عبد الله بن عمرو .

(٤) البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري .

(٥) الطبراني عن أبي هريرة .

٣٢ـ برُ الوالدين

إذا حدثتك نفسك بعقوق الوالدين أو التقصير في حقهما ، فاذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤] .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:١٤، ١٥][١] .

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا ۖ وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥][٢] .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«**رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه**» ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : «**من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة**»[٣] .

سأل أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود النبي عليه الصلاة والسلام : أي العمل أحب إلى الله ؟

قال : «**الصلاة في وقتها**» .

قلت : ثم أي ؟ قال : «**بر الوالدين**» .

قلت : ثم أي ؟ قال : «**الجهاد في سبيل الله**»[٤] .

---

(١) **الوهن** : الضعف الشديد ، **فصاله** : فطامه .

(٢) **كرهًا** : بمشقة ، وانظر أيضًا عن الوالدين : النساء (٣٦) ، الأنعام (١٥١) ، العنكبوت (٨) .

(٣) مسلم عن أبي هريرة ، **رغم أنفه** : ذل .

(٤) البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود .

سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : «**أمك**» ، قال : ثم من ؟ قال : «**أمك**» ، قال : ثم من ؟ قال : «**أمك**» ، قال : ثم من ؟ قال : «**أبوك**» (١) .

ويأمرنا النبي عليه الصلاة والسلام ببر الوالدين ، حتىٰ لو كانا مشركين :

قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ : إن أمها قدمت عليها وهي مشركة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فاستفتت النبي عليه الصلاة والسلام قائلة : قدمت عليَّ أمي وهي راغبة ، أفأصل أمي ؟ قال : «**نعم صِلِي أمك**» (٢) .

وقرن النبي عليه الصلاة والسلام عقوق الوالدين بالإشراك بالله :

«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ، قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : «**الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين**» (٣) .

٣٣ـ اليتيم

إذا وُليت أمر اليتامىٰ ، فأحسن إليهم ، وارع الله فيهم ، ذاكرًا متديرًا قوله تعالىٰ :

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢] (٤) .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤] .

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ:٩ـ١١] .

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:١ـ٣] (٥) .

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) البخاري عن أسماء بنت أبي بكر ، راغبة : طامعة في شيء مما عندها .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي بكرة .

(٤) لا تتبدلوا الخبيث بالطيب : لا تأخذوا الطيب من أموال اليتامىٰ وتعطوهم بدلاً منه الخبيث من أموالكم ، حوبًا : إثمًا .

(٥) يدع : يدفعه بعنف ويسيء معاملته .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» ، أشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما [١] .

«**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه**» [٢] .

عن عائشة ﵂ قالت : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما تمرة لتأكلها ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها ، فاستطعمتها بنتها ، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها ، فذكرتُ الذي صنعتْ لرسول الله ﷺ فقال : «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة ، أو أعتقها بها من النار**» [٣] .

(١) البخاري وأبو داود عن سهل بن سعد .
(٢) ابن ماجه عن أبي هريرة .
(٣) مسلم عن عائشة .